الاسرة و الاضطرابات النفسية

مدخل :

إحدى المهام الأساسية في دراسة الاضطرابات الاسرية هي فهم طبيعة التناقل النفسي الذي يعتبر جزء من رابط أساسي في حياة أفرادها (الآباء، الأبناء، الأحفاد ... الخ.) ، سواء أكان هذا التناقل يأخذ شكل إعادات سلوكية أو بشكل عام أنماط تتداول داخل أنظمة القيم و بين الأجيال. المهم هو فهم التنظيم المرضي والتركيز فيه ، لأنه يسمح التعمق في الاضطرابات التي تعيشها الأسرة ، التي يعاني منها البعض من أفرادها أو التي تتناقل داخل نظامها النسقي و الجماعي في حد ذاته.

بداية من الخمسينيات ، طور التوجه النسقي فكرة الأجيال و الاضطرابات الأسرية ، حيث نجدا في هذا الإطار أعمال أسست قواعد هامة سمحت بتطوير هذا الفكر مثل أعمال **بوين** (Murry : 13 19BOWEN–1990) الذي طور نظرية الأنظمة العائلية و هي نظرية تخص السلوك البشري معتبرة الأسرة وحدة عاطفية مرتبطة و متشابكة، فلقد استخدم **بوين** الفكر النسقي لوصف التفاعلات المعقدة داخل تلك الوحدة، فحسبه من طبيعة الأسرة أن يكون أفرادها مرتبطين عاطفياً و بشكل مكثف (Kerr, 2002).

و من جهته بوزورميني ناجي (Ivan boszormenyi–nagy : 1920–2007) قدم أعمالا جديدة طورت التدخل النفسي معتبرا أن فهم الاضطرابات الأسرية يحتاج لفهم طبيعة العدل في العلاقة بين أفرادها لأنه يساهم بالتعرف على تشوهاتها. فالوفاء أو الولاء الخفي (Loyauté invisible)حسبه هو مؤشر إكلينيكي يسمح بالتعمق في طبيعة تطور الاضطراب و تاريخه (Michard, 2005). في هذا السياق أنجز كل من أبراهام ، وتوروك ؛ ليبوفيتشي ؛ تيسيرون ، و غيرهم أعمالا مهمة تمحورت حول فكرة أسرار الأسرة و الصدمات مابين الأجيال التي لم تحل و لم تعالج لتصبح بمثابة شبح في العلاقة العائلية (Tisseron, 2006). من خلال كل هذه المقاربات الجديدة حول البناء المرضي للأسرة ، تم تطوير التوجه النظري القائم على التناقل النفسي والتناقل داخل الأجيال من قبل العديد من المختصين الذين تعمقوا في دراساتهم حول فكرة المجموعة العائلية أو الطفل وعائلته أو الإعاقة النفسية داخل الأسرة مثل (كياس Kaës, R، فايمبيرع Faimberg, L ، ؛ سيكون Ciccone, A ؛ الكاييمElkaïm, M).

علاوة على ذلك، من المهم التمييز بين المقاربة التي تركز على فهم التنظيم داخل الأجيال و تلك التي تركز على فهم التنظيم بين الأجيال ،حيث يمكن أن يشمل التناقل داخل الأجيال أجيالًا ماضية في حياة الفرد لم يعرفها مباشرة لها تأثير على الحياة النفسية (Gloss ، 1995). يؤسس هذا التناقل علاقات تنازلية في تاريخ الأجيال الماضية و الأجيال الحالية يمكن أن تمر عبر قنوات اللغة و التواصل و هي تشمل كل ما يقال في تاريخ العائلة ، ولكن أيضًا ما لم يتم قوله في ذلك التاريخ وأسرارها الغير مكشوفة، التي يمكن إعادة بنائها لتظهر على شكل أسطورة عائلية أو حقيقة خيالية (Ruffiot, 2011) . أما التناقل بين الأجيال فهو يتعلق بالأجيال التي تكون على اتصال مباشر و ظاهر مثلا(الآباء والأطفال) والتي يمكن فهمها عبر شكلها التفاعلي ، فهي تعمل في كلا الاتجاهين و قد تؤثر على كلا الجانبين (Séguin, 2007).

يستدعي فهم عمليات التناقل العائلي داخل و عبر الأجيال التعمق في مجموعتين نظريتين رئيسيتين تحاولان اليوم تفسيرهما : من ناحية هناك من يركز على دراسة التفاعل الوهمي وإنجازات علم النفس التحليلي، و من جهة أخرى نجد الإنجازات المرتبطة بالتوجه النسقي التي تهتم بطبيعة التواصل داخل النسق. فمثلا التوجه التحليلي يعتبر بأنه من الضروري الأخذ بعين الاعتبار و بشكل مشترك البعد الحقيقي والبعد الخيالي للصدمة ، لفهم طبيعة انتقال الصدمة بشكل أفضل(Cyrulnik, 1999) . فتناقل الصدمة داخل الأجيال قد يكون جد منظم نفسيا ليجد قوته في نوع من التحالف الجماعي الخفي، لكنه في بعض الحالات قد يسبب إعاقة في العلاقة مابين الأشخاص ما يستدعي التدخل لفهم طبيعة الاضطراب. هكذا ، تظهر الملاحظات العيادية أن آثار الصدمة التي يعاني منها أفراد الأسرة أو بعضهم قد تنقل عبر عدة أجيال ويمكن أن تشكل هذه العملية نوع من الإلزام المرضي مثل ما نلاحظه في حالات العنف و الاعتداء الجنسي (Baril, & Tourigny, 2015) . فالنهج القائم على التناقل العائلي يحاول التقرب وفهم الجوانب السلبية للبناء المرضي داخل الأسرة، التي من الضروري معرفتها بشكل أفضل من أجل من أجل التعمق في أسسها ومعالجتها بشكل مناسب و أكثر فعالية.